شخصية أبي الحسن الشاذلي ومكانته

د. عبد القادر العافية
كلية الآداب ـــ الرباط

يحتل أبو الحسن الشاذلي مكانة بارزة بين صوفية المغرب والمشرق في القرن السابع الهجري.

ويعتبر هذا القرن من أخصب العصور التي ازدهر فيها الاتجاه الصوفي الذي أصبح يتغلغل في أوساط العلماء والفقهاء والمفكرين بعد أن كان مقتصرا في القرون السالفة على عدد محدود من المتسمين بالتصوف والنزعة الصوفية.

وابتداء من هذا القرن يلاحظ الدارس أن دائرة التصوف أخذت تتسع لتشمل عددا كبيرا من الفقهاء، وعلماء الدين الذين كان لهم من قبل موقف معروف من الاتجاه الصوفي.

ففي العصر الذي ظهر فيه أبو الحسن الشاذلي كواحد من كبار رجال التصوف في العالم الإسلامي، في هذا الوقت بالذات نجد مجموعة من القمم بارزة بأفكارها وآرائها في الميدان الصوفي كمحيي الدين بن عربي الحاتمي، وأبي الحسن الششتري، وابن سبعين، وعبد السلام بن مشيش، وأبي محمد صالح، وأبي عباد الرندي، وابن عطاء الله الإسكندري، وأبي العباس المرسي، وأبي العباس السبتي، وأحمد بن عاشر الأندلسي وغيرهم، والقائمة طويلة، وكل واحد من هؤلاء يعد قمة من قمم رجال التصوف، يجمعهم زمن واحد، وتظلهم فترة تعتبر من أخصب فترات نمو الفكر الصوفي، وهؤلاء تباينت آراؤهم، وتعددت مذاهبهم، مما

بين متطرف جامح، ومعتدل يمزج بين الحقيقة والشريعة، وبين متمسك بظاهر الشرع لا يخرج عنه قيد أنملة، مع ميله إلى التصوف سلوكا وأدبا...

في هذا الجو المتشبع بالآراء المتباينة لرجال التصوف ما بين تصوف فلسفي يقول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود، وبين متصوف معتدل يبيح لنفسه بعض التأويلات والتفسيرات والإشارات ... التي تجعل من مقاصد الشريعة خطا أحمر لا يجوز تجاوزه.

في هذا الجو الصوفي الذي تتلاطم أمواج تياراته ما بين شرق العالم الإسلامي وغربه، ظهرت شخصية أبي الحسن الشاذلي الموصولة بأوثق الصلات بشخصية شيخه عبد السلام بن مشيش، وشيخه عبد الرحمن المدني، ومن على شاكلته، كمحمد بن حرزهم، وأبي مدين الغوث، والغزالي، إلى آخر السند الصوفي الذي ينتهي إلى الحسن البصري وإلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

في هذا الجو المفعم بالتيارات الفلسفية والمذاهب الصوفية المختلفة استطاع أبو الحسن الشاذلي بشخصيته القوية وبمؤهلاته ومواهبه أن يفرض نفسه على الساحة، ويدخل الميدان الصوفي من أوسع أبوابه، وأن يجهر بمذهبه الصوفي المتميز بالاعتدال إلى حد كبير، والمتميز كذلك بفكرة الإصلاح على مستوى الفرد والمجتمع، لأن التصوف الفلسفي المحض لا يهمه تأليف الناس، وربط صلات المودة بينهم بقدر ما يهمه التحليق في أجواء فلسفية لها تصوراتها ونظرتها إلى خالق الملك والملكوت، في ظل وحدة شاملة يتحد فيها الرب بالمربوب وتتلاشى أمامها التشريعات والأوامر والنواهي ...

ويمثل هذا الاتجاه: محيي الدين بن عربي الحاتمي، والششتري، وابن سبعين، ومن نسج على منوالهم، وكان الشاذلي يعيش في عصر هؤلاء، وفي بيئة واحدة أو متقاربة جدا، وشاركهم في بعض شيوخهم، ومع ذلك لم يسلك طريقهم الذي سلكوه، بل سلك في تصوفه طريقا آخر، وعمل على إصلاح الانحراف الذي عرفه الفكر الصوفي، وسنرى فيما

بعد كيف استطاع أن يستقطب بمذهبه المعتدل مجموعة كبيرة من العلماء، والمفكرين في العالم الإسلامي.

فأبو الحسن الشاذلي قبل أن يدعو إلى تنمية الجانب الروحي في الإنسان، وإلى إصلاح الضمائر والنفوس، قام بتكوين نفسه تكوينا متينا حيث اغترف من منابع علوم عصره: قرآنا، وحديثا، وفقها، وأصولا، ولغة وأدبا، ومنطقا... وتسلح بمعرفة آداب المناظرة والجدال ...

وذكر أبو سالم العياشي في رحلته وهو يتحدث عن الكتب التي قرأها بمكة، أنه قرأ كتاب "**طبقات الصوفية**" للمناوي التي أجاد فيها، ومنها ترجمة الشيخ أبي الحسن الشاذلي ــ قطب الزمان ــ الذي نشأ ببلده، واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يناظر عليها ..[1]

وذكر صاحب "**شجرة النور الزكية**":« ... وكان يحضر مجلسه بتونس ومصر أكابر العلماء، كابن عصفور، ومحيي الدين بن جماعة، والعز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد، وعبد العظيم المنري، وابن الصلاح، وابن الحاجب قرأ عليه **الشفا**، ومحيي الدين بن سراقة، والشيخ ياسين تلميذ محيي الدين بن عربي، ومكين الدين الأسمر، وأبي العباس المرسي، وهو أجل تلامذته، وأبي على السماط، وأبي العزائم ماضي، ومن لا يحصى كثرة، كان جامعا لعلوم الظاهر لاسيما علم التفسير، له فيه نفس عال، والحديث ...»[2]

هذه المجموعة من العلماء التي ذكرها صاحب طبقات المالكية تعد من أبرز علماء العالم الإسلامي في هذا العصر، وتضم أئمة كبارا، كالعز بن عبد السلام، وابن جماعة، وابن دقيق العيد، والمنري، وابن الصلاح، وابن الحاجب ..

[1] طبقات الصوفية للمناوي، ص: 256.

[2] شجرة النور، ص: 186.

ويكفي أبا الحسن الشاذلي شرفا أن تكون هذه الصفوة من العلماء ممن يحضرون مجلسه، ويجتمعون عليه ليأخذوا من علمه، ويستفيدوا منه. وهذا دليل على مكانته السامية في العلوم الشرعية، والمعارف الإسلامية بمختلف فروعها وشعبها وأغراضها، وموضوعاتها ...

فأبو الحسن الشاذلي بعد تضلعه في العلوم والفنون المختلفة التي لابد لعالم الشريعة من الحصول عليها والتزود بها؛ لأنها السلاح التي لا دخول لمعارك الحياة بدونها. بعد ذلك درس مذاهب التصوف، وتعرف على رجاله، لا من خلال الكتب فحسب بل بالاتصال المباشر عن طريق الرحلة، وامتطاء متن الأسفار مهما شق الطريق وبعدت الديار.

رحل بين المغرب والمشرق، واتصل بكبار العلماء، والمفكرين والصلحاء والزهاد والعباد .. باحثا عن المربي الروحي الذي تطمئن إليه نفسه، إلى أن عثر على الصوفي الكبير، والمربي الخبير، والنجم اللامع في سماء المعارف، والجهاد بنوعيه: كبيره وصغيره، الشيخ عبد السلام بن مشيش، الذي دله عليه نجم آخر كان يلمع في سماء بغداد، وهنا اطمأنت نفسه التواقة، وقدر هذا الكنز الثمين حق قدره وأدرك أن حظه كان وافرا، وأن سعيه كان موفقا مقبولا، وردد مع الغزالي: أن العبرة بقبول الأعمال لا بصورها وأشكالها .. لأن الشيخ أبا الحسن كان جادا في طلبه، ومخلصا في بحثه، فلم يخيب الله رجاءه، وكما يقول خريج مدرسته ابن عطاء الله في الحكم:« الأعمال صور قائمة، وروحها سر وجود الإخلاص فيها»، فقاده إخلاصه الصادق، وحظه الباسم إلى الانفراد بدرر شيخه الكبير عبد السلام بن مشيش، إلى درجة أنه لا يعرف له ند، ولا شريك في كنوز معارف شيخه ابن مشيش.

وجعل الشيخ الشاذلي من شيخه هذا معتمده في التربية الروحية، ودليله على ما خفي من أسرار الشريعة والحقيقة، ووجد فيه الموجه الأمين، والمربي الخبير بأمراض النفوس وعللها، والعارف بطرق تزكيتها وعلاجها، فكانت توجيهاته ووصاياه نبراسا يضيء له

طريقه مدى الحياة، ذلك الطريق الذي سار فيه، ووصل بالحفاظ على السير فيه إلى نجومية الشهرة والتألق، يقول بن الصباغ في "**درة الاسرار**"، وابن عطاء الله في "**لطائف المنن**":« إنما الشاذلي إنما هو غرفة من بحر عبد السلام بن مشيش ودرة من جملة عقود نحره »، ويقول سليمان الحوات في "**الروضة المقصودة**":« ولما ستر الله الشيخ عبد السلام بن مشيش عن عالم الشهود، جعل تلميذه أبا الحسن بدلا عنه في عالم الظهور، فكان التعريف بالتلميذ شرحا لماهية الأستاذ[3]. ويؤكد سليمان الحوات انفراد الشاذلي بمعارف شيخه ابن مشيش فيقول:« إذ لم يثبت أن أحدا لقيه سواه أو أن لأحد حديثا في حقه عن غيره رواه »

دعوته للإصلاح:

يقول الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه "**القطب الشهيد أبو الحسن الشاذلي**":« لقد كان لأبي الحسن أثر هائل في هداية الناس على مر الزمن، لقد كان له أثر ينتقل أريجه الزكي من شخص إلى شخص، ومن عصر إلى عصر حتى وقتنا الحاضر، لقد بدا هذا الأثر بالثمرة اليانعة في العارف بالله القطب الكبير أبي العباس المرسي، وفيمن حول الشيخ من أصدقاء ومريدين، وأسلم أبو العباس المرسي المشعل، مشعل الهداية إلى شيخ العلماء، وشيخ الصوفية في عصره ابن عطاء الله الاسكندري، صاحب الحكم التي قال عنها أحد كبار العلماء كاد الحكم أن يكون قرآنا »[4].

والحقيقة أن المتتبع لما كتب عن أبي الحسن الشاذلي يدرك بسرعة أن الرجل كان يتمتع بموهبة إصلاحية تجعله في مصاف كبار المصلحين.

ودعوة أبي الحسن الإصلاحية كانت على عدة مستويات: إصلاح الفكر، وإصلاح السلوك.

---

[3] سليمان الحوات: الروضة المقصودة، 582/2

[4] عبد الحليم محمود، القطب الشهيد أبو الحسن الشاذلي، ص: 15.

وبمعنى آخر إصلاح موجه للخواص، وإصلاح موجه للعموم. واستطاع أبو الحسن أن ينجح في عمله الإصلاحي، لا بتوجيهاته وأقواله فحسب بل بعلمه وسلوكه حيث انعكست دعوته الإصلاحية على فعله، وحاله ومقاله .. ومن قرأ لطائف المنن، ودرة الأسرار، وغيرهما من الكتب التي تحدثت عن مناقبه وسلوكه وتوجيهاته استطاع أن يتأكد من ذلك. والحديث عن مناقبه وحكمه وتوجيهاته يحتاج إلى دراسة متأنية، ونقتطف شيئا من ذلك ونقول:

الشاذلي والحث على العمل وعلو الهمة:

جاء في مناقب الشاذلي، أنه كان يكره من المريد أن يكون متعطلا أو أن يسأل الناس.

وكان يقول: لكل ولي حجاب، وأنا حجابي الأسباب، وكان يشارك في الزرع والحرث والحصاد، ويربي الثيران. فهو لم يكن يدعو إلى العمل بقوله فقط بل كان يمارسه بالفعل ليجعل من نفسه قدوة، وكان يقول: إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل أحدا شيئا، وإن أتاك شيء من غير مسألة فلا تقبله، وإن كنت مقتديا بالرسولﷺ لا يأخذ شيئا إلا ليثيب عليه، فإن تطهرت نفسك، وتقدست هكذا فاقبل وإلا فلا.!!» .

وذكر مترجموه: أنه شارك في معركة المنصورة وجاهد مع المجاهدين في تلك المعركة التي كانت بين المسلمين بزعامة الظاهر بيبرس، والفرنجة بزعامة لويس التاسع ملك فرنسا. شارك في هذه المعركة رغم كبر سنه، وكان قد كف بصره في آخر حياته، مع ذلك كان في مقدمة المجاهدين، وكان يقول: « من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت».

الشاذلي ضد التقشف والبؤس:

لقد اتخذ أبو الحسن الشاذلي من الإسكندرية مقرا وسكنا بعد رحلات طويلة، ومضنية، وفيها تزوج وأنجب الذرية، واقتنى الضياع وأصبح له الولد والأهل والأحباب.

وكان الشاذلي رحمه الله متأنقا في مأكله وملبسه، ويأخذ زينته عند كل مسجد، ويتحلى دائما بالثياب الحسنة في اعتدال ووقار دون مبالغة، وكان يقول:« اعرف الله وكن كيف شئت، ومن عرف الله فلا عليه أن يأكل هنيئا مريئا »، وكان يأمر غلامه ويقول:« يا بني برد الماء فإذا شربت الماء السخن فقلت الحمد الله تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استجاب كل عضو منك بالحمد لله »، وكان يركب الخيل الجياد، ويقول:« لا شرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تنحل أعضاؤك لها، فترجع لمعانقتها بعد الزهد فيها»، وكان في المواسم يحتفل أيما احتفال بالمواكب والأعلام والصاجات (الصاج طبق من حديد مقعر)، وكان يقول عن طريقته:« ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية ».

والملاحظ أن مذهبه هذا في التوسعة على النفس، وإعطائها حظها من المأكل والملبس والمشرب، لم يكن من مذهب بعض شيوخه كمحمد بن حرزهم مثلا الذي يحكي عنه ابن قنفذ في "**أنس الفقير وعز الحقير**":« إن ابن حرزهم دعاه أحد أمراء صنهاجة ــ المرابطين ــ بمراكش ليتعلم منه، فجلس الأمير على السرير وابن حرزهم تحته، فقال للأمير: من أدب المتعلم أن يكون معلمه أعلى منه، فنزل الأمير في الحين، وجلس ابن حرزهم على السرير، ولازمه تلميذه، وأخذ بسلوكه في التصوف والزهد ، حتى أصبح لا يملك شيئا !!» هذه الحكاية تدل على أن ابن حرزهم الذي تأثر بدعوة الغزالي إلى الزهد والتقشف أثر في تلميذه الأمير المرابطي تأثيرا كبيرا.

أما أبو الحسن الشاذلي فهو ليس مع الغزالي في كل ما كان يدعو إليه، بل هو معه في قوله:« ينبغي أن تكون الشريعة حاضرة في ذهن المتصوف» ويرى أن التوسعة على النفس في دائرة المباح من باب التحدث بنعم الله ، ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾.

ذكر ابن عطاء الله في "**لطائف المنن**" أن فقيرا دخل على الشيخ أبي الحسن في ملابس خشنة من شعر، فلما فرغ الشيخ من كلامه، دنا منه الفقير وأمسك ملبسه،

وقال: يا سيدي ما عبد الله بهذا اللباس الذي عليك»، فأمسك الشيخ ملبسه فوجد خشونته فقال: «ولا عبد بهذا اللباس الذي عليك، لباسي يقول أنا غني عنكم، فلا تعطوني، ولباسك يقول أنا فقير إليكم فأعطوني». وعقب ابن عطاء الله على هذا الكلام فقال:« وأما لبس اللين وأكل الطعام الشهي، وشرب الماء البارد، فليس القصد إليه بالذي يوجب العتب من الله، إذا كان معه الشكر لله »[5]

وكانت توجيهات أبي الحسن الشاذلي وتعاليمه، والتزامه بالكتاب والسنة من أسباب الإقبال عليه، وانتشار طريقته انتشارا واسعا في المغرب والمشرق.

وعن انتشار الطريقة الشاذلية، يقول الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في **السلوة**:« وأشهر الطرق بالمغرب الطريقة الشاذلية »[6].

ويقول أبو سالم العياشي، وهو يتحدث عن رسالة الشيخ أبي علي الحسين العجمي المكي الحنفي:« إن الطرق الصوفية التي عرفت بالمشرق، وبعضها بالمغرب أربعون طريقة »، وذكر منها الشاذلية والطرق الأربع المتفرعة عنها وهي: الوفائية، الزروقية، البكرية، والجزولية.

وتحدث سليمان الحوات عن الطرق الصوفية في كتابه "**الروضة المقصودة**"[7]وأوصلها إلى ثمانين طريقة، وبعد أن ذكر الطرق التي ذكرها العياشي في رحلته نقلا عن رسالة العجمي، قال:« وكل هذه الطرق أو جلها ترجع إلى البعض من الأربعين المتقدمة، ثم قال: قال أبو المكارم إبراهيم بن الوفا: الطرق إلى الله كثيرة بعدد أنفاس الخلائق وهي وإن تشعبت واحدة، ثم قال: وطرق المغاربة كالشاذلية والوفائية والجزولية والزروقية والبكرية، ثم عرف بهذه الطرق، ونسبها إلى شيوخها، إلى أن قال: الطريقة الغازية نسبة إلى

---

[5] لطائف المنن، ص: 134.

[6] السلوة، 85/1.

[7] الروضة المقصودة، 380/1.

الشيخ أبي القاسم الغازي الفيلالي رضي الله عنه وترجع للشاذلية. أي هي فرع من فروع الطريقة الشاذلية ».

قال الحوات:« ...والطريقة الغازية يقال لها اليوم، الناصرية، نسبة إلى الشيخ السني محمد بن ناصر الدرعي التامجروتي، إذ هو إمامها، وعنه انتشرت في المغرب والمشرق».

توجيهاته ووصاياه:

من كلام أبي الحسن:

« اعلم أن الله خلق الآدمي وقسمه إلى ثلاثة أجزاء: لسانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء، وجعل على كل جزء حفيظا، فقال: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد[8]، وقال: وما تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه[9]، وتولى حفظ القلب بنفسه فقال: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه »[10].

ومن كلامه رحمه الله:

« من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم ». ــ وهو يقصد العلوم الشرعية ــ .

وقال:« خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله».

وقال:« ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان، وإنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه ».

وقال:« كل شيء نهاك الله عنه فهو شجرة آدم لما أكل منها نزل إلى الأرض، وأنت إذا أكلت من شجرة النهي تنزل إلى أرض القطية ».

وقال:« إن الله لما خلق الأرض اضطربت فأرساها بالجبال، قال الله جل جلاله:

---

[8] سورة، ق، 18.

[9] سورة، يونس، 61.

[10] سورة، البقرة، 235.

" والجبال أرساها "[11]، كذلك لما خلق الله النفس اضطربت فأرساها بحبل العقل ».

وقال:« نحن إذا أتانا من عنده شيء من الدنيا لا نقول له اخرج من دنياك وتعال، ولكن ندعه حتى تترشح فيه أنوار المنة، فيكون هو الخارج عن الدنيا بنفسه، ومثل ذلك: قوم ركبوا سفينة فقال لهم رئيسها غدا تهب ريح شديدة لا ينجيكم منها إلا أن ترموا بعض أمتعتكم، فارموا بها الآن، فلا يسمع أحد قوله، فإذا هبت العواصف كان الكيس من يرمي متاعه بنفسه، وكذلك إذا هبت عواصف اليقين يكون المريد هو الخارج عن الدنيا بنفسه ».

وقال:« يقول الله عز وجل: ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك، وخلقتك لأجلي، فلا تشتغل بما هو لك، عمن أنت له ».

وكان يقول:« نوديت: لا تختر مع الله شيئا، وإن اخترت فاختر العبودية لله، اقتداء برسوله، حيث اختار أن يكون عبدا رسولا، وإن كان لابد وأن تختار فاختر ألا تختار، وفر من ذلك المختار إلى اختيار الله تعالى لك ».

وكان يقول:« كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت، والزم محبة الله على التوقير والنزاهة »

شهرته ومكانته:

كل الذين عرفوا أبا الحسن الشاذلي أو كتبوا عنه أشادوا بعلمه وبأساليب تربيته، وبقدرته على الغور في أعماق النفس الإنسانية، ومعلوم أن مخاطبة الناس، ودعوتهم لإصلاح أحوالهم، والعمل على تهذيب نفوسهم، وتنمية عقولهم ووجدانهم .. دعوتهم إلى ذلك تحتاج إلى مواهب فطرية، وإلى التزود بالعلم والمعرفة.. لأن المربي كالطبيب لا يمكنه أن يعالج الناس بدواء واحد، لاختلاف أمراضهم البدنية.

[11] سورة، النازعات، 32.

وأمراض القلوب والنفوس أشد خطرا وأكثر تنوعا واختلافا وتباينا، فالمربي الداعية يجب أن يكون على جانب كبير من الذكاء والفهم والإدراك ومفروض فيه أن يكون قد حدد أهدافه التي يسعى للوصول إليها.

فأبو الحسن الشاذلي رحمه الله قطع مراحل طويلة في إعداد نفسه إعدادا يؤهله لإرشاد الخلق وهدايتهم، ويؤهله للقيام بدوره التربوي والإصلاحي على أحسن وجه وأكمله، ذلكم الإعداد الذي جعله يعظم في نظر من يجتمع به، أو يتحدث إليه، ويقدر مكانته العلمية والتربوية.

يقول ابن عطاء الله في "**لطائف المنن**":« وأخبرني الشيخ العارف مكين الدين الأسمر رضي الله عنه : حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الأنام، عز الدين بن عبد السلام، والشيخ مجد الدين بن تقي الدين علي بن وهب القشيري المدرس، والشيخ محيي الدين بن سراقة، والشيخ مجد الدين الأخميمي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ورسالة القشيري تقرأ عليهم، وهم يتكلمون، والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم، فقالوا: يا سيدي نريد أن نسمع منك، فقال: أنتم سادة الوقت وكبراؤه، وقد تكلمتم، فقالوا: لابد أن نسمع منك، قال: فسكت الشيخ ساعة، ثم تكلم بالأسرار العجيبة، والعلوم الجليلة، فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة، وفارق موضعه، وقال: اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله »

هذه الحكاية تبين بوضوح أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي لم يكن محبا للظهور، ولا معجبا بنفسه، ولا بما هو عليه من ثقافة عالية، ولا من الذين يحلوا لهم التشدق بالكلام بمناسبة وغير مناسبة، بل تذكر الحكاية أنه جلس صامتا متأدبا لا يتكلم، ولما ألح عليه القوم في الكلام، كان جوابه: أنتم سادة الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم... ومعناه أن كلامكم كان كافيا في الموضوع، ولا داعي لمزاحمتكم وأنتم من أنتم .. ولما ألحوا عليه، و لم يجد بدا من الحديث إليهم، قال ما عنده في الموضوع، فأفاد وأجاد، وأتى بالأسرار العجيبة والعلوم

الجليلة؟! فانبهر القوم مما سمعوا، وقال شيخ الجماعة العز بن عبد السلام لرفقائه: اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله.

فسلطان العلماء العز بن عبد السلام يطلب من أصحابه الاستماع إلى أبي الحسن وإلى تأمل كلامه !!

ويشرح الشيخ عبد الحليم محمود كلمة قريب العهد من الله، فيقول:« معناه إلهام من الله، وأنه ليس علما مكتسبا من الكتب، إنه ليس تقليدا ولا توليدا »

والمهم في هذه الحكاية أن الشيخ أبا الحسن استطاع أن يبهر بكلامه وعذوبة منطقه، وحسن بيانه، وفصاحة لسانه، وعمق فهمه وإدراكه ... استطاع أن يلفت إليه أنظار جلسائه من كبار العلماء وأن يأخذ بألباهم، إلى أن قال العز بن عبد السلام ما قال، ومن يعرف قدر ابن عبد السلام ومكانته، وبتيقن أنه لو لا تضلع أبي الحسن في العلوم الشرعية، والتزامه في كلامه بعدم الخروج عنها لما كان كلامه قبولا عند هؤلاء، والذي يعرف عن العز بن عبد السلام من خلال كتاباته ومواقفه أنه كان متمسكا بالشريعة إلى أبعد الحدود، وهو من الذين لا يميلون إلى التصديق بكل شيء. وعندما ألف كتابه:"**نهاية السول في تفضيل الرسول**ﷺ " في موضوع زلت فيه أقدام، وغلبت فيه العاطفة كثيرا ممن كتبوا فيه .. لم يسمح لنفسه بنقل الأحاديث الضعيفة والواهية، وقد شهد له بذلك غير واحد من العلماء، وأخرهم الشيخ ناصر الدين الألباني الذي خرج أحاديث هذا الكتاب المفيد جدا في موضوعه. والعز بن عبد السلام معروف بمواقفه وعلمه، وسداد فكره، والتزامه حدود الشرع، في كل ما يكتب، فهو لا ينساق مع عواطفه، وهو صارم لا يعرف في الحق لومة لائم، وموقفه من الحكام المماليك في الاستعداد للحرب ضد التتر بقيادة الأمير المملوكي المظفر قطز معروف، وهو موقف عرضه للتضحية بحياته، حيث أثارت فتواه ثائرة المماليك، لكنهم أذعنوا أخيرا، هل صاحب مثل هذا الموقف يسلم لأبي

الحسن الشاذلي لو رآه خرج عن حدود الشرع في تجلياته، وما كان ينطق به من أسرار ودرر ؟! لا أظن ذلك.

وذكر غير واحد ممن ترجموا لأبي الحسن الشاذلي أن العز بن عبد السلام يعتبر من بين الآخذين عنه، هو ومجموعة كبيرة من العلماء المرموقين في عصره، وقد أثبت ذلك الشيخ محمد مخلوف في "**شجرة النور**" كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

فشهرة أبي الحسن ومكانته، من مقوماتها الأساسية التزامه بالتصوف السني، الملتزم بالكتاب والسنة.